بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . قال المؤلف رحمه الله وغفر له وللشارح وللسامعين :

[ولهما عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ ، ولَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ من أمتي حَتَّىٰ إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي فيقال إنك لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ))[1] . ولهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ، قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَاني هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ، قَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ أَرَأَيْتم لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا بَلَىٰ ، قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ يوم القيامة عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا))[2] . وللبخاري: ((بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ ، فَقُلْتُ أَيْنَ ؟ قَالَ إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ ، قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَىٰ ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ – فذكر مثله – قال فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ))[3] .ولهما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – : ((فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ

(١) رواه البخاري (٧٠٤٩) ، ومسلم (٢٢٩٧) واللفظ للبخاري .

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) .

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٧) .

الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧]))(٤)].

****

الشرح :

هذه الأحاديث التي ساقها المصنف – رحمه الله – هنا في هذا الباب ؛ باب قول الله تعالىٰ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠] ؛ ساقها – رحمه الله – لأنها مبيِّنة وموضِّحة لحقيقة إقامة الوجه للدين ، لأنها مبينة لحقيقة الإسلام وأنه استسلامٌ لله وإخلاصٌ له ﷻ ولزومٌ لشرعه ودينه وثباتٌ علىٰ ذلك إلىٰ الممات دون تبديل ودون ارتداد ورجوع القهقرىٰ ؛ بل يثبت علىٰ ذلك إلىٰ أن يموت علىٰ ذلك ويلقىٰ الله ﷻ بذلك ، وقد مر معنا قريباً وصية إبراهيم الخليل ووصية يعقوب عليه السلام ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

والمصنف رحمه الله ساق جملة من روايات وأحاديث حوض النبي الكريم ﷺ ليبين من خلالها هذه الحقيقة ، وليشير أيضاً إلىٰ أن فضائل الإسلام وخيراته وبركاته وثماره الدنيوية والأخروية والتي منها الشرب من حوض النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – شربةً هنيئةً لا يظمأ بعدها الشارب أبداً هذا كله من ثمار الإسلام والقيام بحقيقة الدين كما أمر الله – تبارك وتعالىٰ – ، أما المبدِّل المغيِّر المحدِث الناكص علىٰ عقبيه الراجع القهقرىٰ إلىٰ الوراء فهؤلاء لا نصيب لهم من هذه الثمار ، ولهذا ساق المصنف – رحمه الله – بعض روايات الحوض .

وحديث الحوض كما نص عدد من أهل العلم حديث متواتر عن النبي ﷺ ، وهو من جملة الأحاديث المتواترة بل إن عِدَّة الصحابة الذين رووا حديث الحوض عن النبي ﷺ يزيدون علىٰ

(٤) رواه البخاري (٣٣٤٩) ومسلم (٢٨٦٠) .

الخمسين صحابياً ، بل قيل يزيدون علىٰ الستين كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ، وجمَع روايات الحوض وجمعها غيره من أهل العلم . والحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ حديث متواتر ، والحديث المتواتر يأتي في أعلىٰ درجات الصحة في الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، ولو لم يصِلْنا حديث الحوض إلا من طريق واحد من الصحابة لكان كافياً في الإيمان به والتسليم ؛ لأن العقيدة وأمور الدين لا يشترط في أحاديثها أن تبلغ حد التواتر ، بل تؤخذ العقيدة ولو بخبر الآحاد خلافاً لما عليه أهل البدع ، لكن هذا بيان لمكانة هذا الحديث وكثرة عدد الصحابة الذين رووا عن النبي ﷺ هذا الحديث العظيم المشتمل علىٰ ذكر حوض النبي ﷺ .

ومن الأحاديث التي جاءت في ذكر الحوض في الصحيحين وغيرهما أحاديث جاءت مشتملة علىٰ صفة الحوض ، لأن النبي ﷺ وصف الحوض وصفاً عظيماً يحرك القلوب شوقاً وطمعاً ورغبةً في الورود عليه والشرب منه وأن لا يكون الإنسان ممن يذادون ويردّون عنه ، فقال ﷺ في وصفه له: ((طوله شهر وعرضه شهر[٥] ، وماءه أحلىٰ من العسل ، ولونه أبيض من الورِق[٦]، وريحه أطيب من المسك،من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا[٧])) [٨] وهذه خاصية جعلها الله ﷻ في ذلك الماء العظيم في الحوض المورود الذي يكون في عرصات يوم القيامة .

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الكوثر – والكوثر غير الحوض ، الكوثر في الجنة – فيه ميزابان يشخبان ؛ أي يصبان في حوض النبي ﷺ[٩] ، ولهذا يأتي أحياناً إطلاق الكوثر علىٰ الحوض لا لكونه

---

(٥) أي أن طوله وعرضه سواء .

(٦) الورِق : الفضة ، وفي رواية أبيض من اللبن يعني في غاية البياض .

(٧) يعني إذا شرب من هذا الماء لا يحس بعد ذلك بظمأ ولا يحس بعطش.

(٨) رواه البخاري (٦٥٧٩)بلفظ ((حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا)) ، ومسلم (٢٢٩٢) بلفظ ((حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا)) .

(٩) قال النبي ﷺ ((يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ)) رواه مسلم (٢٣٠٠).

هو الحوض ؛ وإنما لكون الماء الذي يُصَب فيه هو من الحوض ، وإلا الحوض في عرصات يوم القيامة والكوثر في جنات النعيم يُمِد الحوض ويشخب منه ميزابان في الحوض المورود الذي يكون في عرصات يوم القيامة .

والناس كما هو معلوم من الأدلة يقفون في عرصات يوم القيامة موقفاً عظيماً جاء في القرآن والسنة أن مقدار ذلك اليوم خمسين ألف سنة ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج:٤] ، وهو وقوف طويل ويحصل للناس فيه من العناء والتعب والشمس تدنو منهم خمسين ألف سنة ، تأمل وقوفك في الصيف والشمس في كبد السماء وليس هناك هواء بارد يلطف الجو وليس هناك ظل يستظل به الإنسان ؛ كيف يكون عطش الإنسان في مثل ذلك المكان في يوم واحد ؟؟ فكيف بيوم كان مقداره خمسين ألف سنة !! والله ﷻ يكرم أهل الإيمان وأهل الصدق مع الله ﷻ وأهل الصلاح وأهل المحافظة علىٰ دينه والبعد عن التبديل والتغيير بأن يظلّهم ﷻ بظل عرشه العظيم يوم لا ظل إلا ظله ، وأيضا جاء في المستدرك وغيره بسند ثابت عن النبي ﷺ أن الله ﷻ يهوّن ذلك اليوم الطويل الذي هو مقداره خمسين ألف سنة علىٰ أهل الإيمان فيكون لهم كما بين صلاة الظهر إلىٰ صلاة العصر[١٠] كرامةً منه ﷻ لأهل الإيمان ؛ نسأل الله الكريم رب العرش العظيم من فضله .

يرِد الناس في ذلك اليوم الحوض المورود يبحثون عن الماء ؛ العطش شديد والحاجة إلىٰ الماء ماسة جداً ، وأكبادهم جفت تريد ماءً ، وقد جاء في حديث ثابت أن لكل نبي حوض ترِد عليه أمته[١١] ، ولنبينا ﷺ حوض مورود تميّز عن غيره ، وقد وصفه النبي ﷺ بصفات مر معنا بعضها ، وقال – عليه الصلاة والسلام – ((كيزانه عدد نجوم السماء)) أي : في الجمال والحسن والكثرة ؛ فهي كثيرة عدد نجوم السماء ، وجميلة أيضا مثل جمال نجوم السماء . فيرِد الناس علىٰ الحوض

(١٠) رواه الحاكم في المستدرك بلفظ ((يوم القيامة علىٰ المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر)) .

(١١) قال النبي ﷺ ((إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا)) رواه الترمذي (٢٤٤٣).

البهي الجميل الحسن طيب الريح طيب الطعم طيب المرأىٰ والمنظر في أشد ما يكونون من العطش ثم هناك يذاد عنه أقوام، لم يذادون؟ هذا بيت القصيد أو أساس المقصود من إيراد المصنف –رحمه الله– لأحاديث الحوض ، أساس المقصود هنا : أن يحقق الإنسان في حياته الدنيا حقيقة الإسلام ويجاهد نفسه علىٰ معرفة حقيقة الإسلام وتطبيقها والعمل بها والثبات عليها إلىٰ الممات حتىٰ يكون يوم القيامة من هؤلاء الذين يمنّ الله ﷻ عليهم بكرامته فيرِدون حوض النبي – عليه الصلاة والسلام– دون أن يذادوا عنه.

والأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ حال من يذادون عن الحوض تخيف المؤمن العاقل ، من الذي يرضىٰ لنفسه أن يرِد إلىٰ الحوض وهو في أشد العطش وأشد ما يكون حاجة إلىٰ الماء ثم يُطرد ويذاد ويبعد ويؤخذ به إلىٰ النار؟! ولهذا أورد المصنف – رحمه الله – هذه الأحاديث في هذا الباب الذي فيه إقامة الوجه لله ﷻ نصحاً لعباد الله حتىٰ يجتهد العبد ما دام علىٰ قيد الحياة ومادام في الأمر مهلة وسعة وفي الأمر مجال أن يجاهد نفسه علىٰ معرفة الإسلام ومعرفة حقيقته ويجاهد نفسه علىٰ العمل به وتطبيقه حتىٰ ينال هذه الكرامة العظيمة فيشرب من حوض النبي ﷺ ، ثم تتوالىٰ عليه الخيرات والنعم والبركات متوّجةً بدخول جنات النعيم ، وأعظم ذلك رؤية الرب الكريم ﷻ ولذة النظر إلىٰ وجهه وهذا أكمل نعيم ؛ فهذا كله يحتاج من العبد إلىٰ مجاهدة نفسه علىٰ معرفة الإسلام وتكميله والبُعد عن نواقصه ونواقضه ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء:١٢٣] ، ((لَيْسَ الإِيمَان بِالتَّمَنِّي وَلاَ بِالتَّحَلِّي وَلَكِن الإِيمَان مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَال))(١٢) ؛ ليس الإيمان كلمة تُدَّعىٰ ولا أمنية ترتجىٰ ؛ الإيمان حقيقة تقوم في قلب المؤمن يتبعها عملٌ وجدٌّ واجتهادٌ واستسلامٌ لله ﷻ وطواعية وامتثال لأمره وثباتٌ علىٰ ذلك إلىٰ أن يلقىٰ المؤمن ربه ﷻ غير مبدِّل ولا مغير كحال من قال الله ﷻ في شأنهم ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

(١٢) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي وابن بطة وابن أبي حاتم جميعهم عن الحسن البصري رحمه الله .

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣] **لا يغيِّر في** الدين وإنما الذي يُطلب منه إقامة الدين بحقيقته التي أرسل وبُعث بها رسولنا الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – .

حقيقةً هذه الأحاديث مفيدة جداً في هذا الموضع غاية الفائدة حتىٰ يتنبه العاقل ويتبصر ويتفكر في هذا الأمر قبل أن يفوت الفوات ؛ مادام في الوقت سعة وعنده مهلة يتعلم ويتفقه ويحقق إسلامه فهذه فرصة – كما يقال– لا تعوض ولا تُقدَّر بثمن ، فوجب علىٰ العاقل أن تفتح له أمثال هذه الأحاديث أبوابًا في الهداية والاستقامة وإقامة الدين والمحافظة علىٰ طاعة رب العالمين والبعد عن البدع والأهواء والضلالات والانحرافات وشغْل الأوقات بطاعة الله ﷻ بما شرع مخلصـًا له ويجاهد نفسه علىٰ الثبات علىٰ ذلك إلىٰ أن يلقىٰ الله – تبارك وتعالىٰ – .

قال رحمه الله : ((**ولهما عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال : قال رسول الله** ﷺ : **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ ، ولَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ من أمتي حَتَّىٰ إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي فيقال إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**))

((**ولهما**)) أي البخاري ومسلم .

((**عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ : **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ**)) ؛ فرطكم : أي سابقكم إليه ومتقدِّمكم إليه ومن يصل إليه أولاً . فالنبي ﷺ يصل الحوض أول الناس فهو فرَط الناس إلىٰ الحوض – صلوات الله وسلامه عليه – ثم يأتي بعد ذلك الناس تِباعـًا يرِدون الحوض للشرب منه بحثـًا عن الماء وطلبـًا لدفع العطش والظمأ ؛ فيذهبون إلىٰ الحوض والنبي ﷺ قد سبقهم إليه .

قال ((**ولَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ من أمتي**)) يعني يتقدمون إليه ويأتون إلىٰ حوضه من أجل الشرب .

قال ((**حَتَّىٰ إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي**)) ؛ حتىٰ إذا أهويت: يعني جاؤوا إليه ﷺ ليشربوا من الماء وإذا أهوىٰ أي بيده للحوض ليغترف لهم منه وليناولهم من ماءه ليشربوا اختلجوا دُونِي: يعني أخِذوا عني وصُرفوا عني ؛ أي ذيدوا كما في بعض الروايات وأبعدوا عنه ﷺ .

((**فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ**)) يعني يا رب ((**أَصْحَابِي**)) أي هؤلاء أصحابي لماذا يُذادون عن الحوض ؟ ولماذا يُحرمون من الشرب من الحوض ؟

((**فيقال إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)) وهذا فيه أنه ﷺ لا يعلم الغيب ، فهؤلاء النفر الذين صحبوا النبي ﷺ ثم يحصل لهم هذا الذود عن حوضه ويعرفهم – عليه الصلاة والسلام – قيل يعرفهم بأشخاصهم لأنه رآهم ، وقيل يعرفهم بعلاماتهم ؛ كما يأتي في بعض الروايات بأثر الوضوء ((غراً محجلين عليهم أثر الوضوء)) ، ومعنىٰ ذلك أنهم يصلّون وأثر الصلاة عليهم ظاهر ومع ذلك يُذادون عن الحوض ، فيقول ((أي رب أصحابي)) وفي بعض الروايات ((أصَيْحَابي)) بالتصغير ، وقد قال العلماء : التصغير هنا يعني تقليل العدد ، فهؤلاء عدد قليل من الذين كان لهم صحبة ثم حصل منهم بعد موت النبي – عليه الصلاة والسلام – ارتداد عن دينه ونكوص علىٰ العقبين أي القهقرىٰ إلىٰ الوراء ، ووجود الردة أمر معروف بعد موته ﷺ من بعض الذين كان إسلامهم علىٰ طرف ، قال الله ﷻ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج:١١] فبعضهم يكون إسلامه علىٰ طرف وأدنىٰ شيءٍ يغيِّره ، فمن كان علىٰ هذه الشاكلة فهؤلاء يذادون ، وهم عدد قليل بالنسبة للصحابة عموماً ، وقد أجمع أهل العلم قاطبة من أهل السنة والجماعة أن هؤلاء ليس فيهم واحد من المهاجرين والأنصار وأعيان الصحابة الذين لهم المواقف المشهودة والأعمال المشهورة ممن شهدوا بدراً وأحداً وشاركوا النبي ﷺ في بيعة الرضوان وأخبر رب العالمين أنه رضي عنهم وكان عددهم كبيراً ؛ وإنما المعني بهذا أناس قلائل حدثاء عهد بإسلام ، ربما رأىٰ الواحد منهم النبي ﷺ المرة أو المرتين فحصلت له الصحبة بالرؤية والإسلام ، ولكن كان إسلامه

رقيقًا وعبادته لله ﷻ علىٰ طرف وعلىٰ ضعف وعلىٰ رقة في الدين ، ولما مات النبي عليه الصلاة والسلام ارتدوا بعده ﷺ ، فيعرفهم لأنه رآهم ولكنه لا يدري ماذا حصل منهم بعد مماته – عليه الصلاة والسلام – ، وهم عدد قليل مقارنة بجموع الصحابة وأعداد الصحابة الذين هم خير أمة أخرجت للناس أخبر عنهم رب العالمين بذلك[١٣] ، والذين هم خير القرون أخبر عنهم – عليه الصلاة والسلام – بذلك[١٤].

وقوله ((**فيقال إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)) فيه تكذيب لقول من يقول إن النبي ﷺ يعلم الغيب، وبعضهم يقول إنه حاضر ناظر ويعلم ما في الصدور ، إلىٰ غير ذلك من الضلال بل من الكفر ، لأن من زعم أن النبي ﷺ يعلم الغيب فهو كافر بالقرآن ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾[النمل:٦٥] الله ﷻ مختص بالغيب ، وهنا قال ((**إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)) والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة ، ولهذا قوله ((**فيقال إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)) فيه دلالة علىٰ أن من قال إن النبي ﷺ يعلم الغيب ممن أحدثوا بعده حدثًا عظيمًا يتعلق بالاعتقاد يترتب عليه فساد العبادة وفساد السلوك والعمل – ولننتبه لهذا – لأن من ادّعوا في حقه ﷺ أنه يعلم الغيب تعلقت قلوبهم به تعلقًا لا يكون إلا بالله ﷻ فتوجهوا إليه برغباتهم وطلباتهم وعرضوا عليه حاجاتهم وطلبوا منه المدد والعون وغير ذلك وهذا كله مبني علىٰ أمثال هذه العقائد الباطلة ، فهذا كله داخل تحت قوله : ((**لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)).

قال ((**فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي فيقال إنك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)) ؛ قلت وأؤكد أن هذا – وهو أمر أجمع عليه أهل العلم قاطبةً من أهل السنة والجماعة – لا يتناول خيار الصحابة وأئمة الأمة وسلف الأمة من المهاجرين والأنصار ، فليس في هؤلاء واحد ممن شهد بدراً ولا ممن شهد أحداً

(١٣) قال الله تعالىٰ : ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

(١٤) قال ﷺ ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي)) رواه البخاري (٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

ولا ممن شهدوا بيعة الرضوان ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨] ورضاه عنهم بقي وحْياً يتلىٰ في كتاب الله ﷻ يخبر ﷻ عن رضاه عنهم ، فكل هؤلاء ليس منهم واحد يتناوله هذا الذود ، وإنما يتناول هذا الذود نفراً قليلاً وعدداً يسيراً بالنسبة لعموم الصحابة ممن كان إسلامهم –كما قدمت– علىٰ حرف وعلىٰ طرف، ومع هذا كله فإن أقواماً ابتلوا – والعياذ بالله – بارتكاس القلوب وانتكاس العقول وقلَبوا الحديث قلباً ، فجعلوا الحديث منصبّاً علىٰ خيار الصحابة ؛ بل جعلوا – والعياذ بالله – في مقدِّمة من يذادون أفضل الصحابة وهو صديق الأمة رضي الله عنه الذي لا يوجد أحد في الصحابة نُصَّ علىٰ لفظ صحبته في القرآن إلا هو ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة:٤٠] ، لا يوجد أحد من الصحابة حظي بمثل هذا فجعلوه في مقدمة من يذاد ومعه عمر ومعه عثمان ومعه خيار الصحابة ولم يستثنوا منهم إلا سبعةً أو تسعةً أو عدداً قليلاً يعد علىٰ أصابع اليد الواحدة والبقية كلهم يذادون ، ويصفونهم بأنهم أحدثوا وبدّلوا وارتدوا ، ويقولون إن الصحابة ارتدوا إلا نفر قليل: علي وسلمان وعدد قليل ، والله ﷻ في القرآن قال : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠] هؤلاء أخبر الله ﷻ برضاه عنهم ، بل إنه ﷻ زكّاهم تزكيةً عظيمة في التوراة والإنجيل قبل أن تدرج أقدامهم علىٰ الأرض وقبل أن يطأوا الأرض ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ [الفتح:٢٩] هذه تزكية لهم ، زكاهم رب العالمين في التوراة قبل أن يمشوا علىٰ الأرض ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ هذه تزكية لهم في الإنجيل قبل أن يوجدوا . زكاهم رب العالمين في التوراة وفي الإنجيل وتُليت تزكيتهم في التوراة والإنجيل رِدْحاً من الزمان ثم نزلت تزكيتهم في القرآن وذكر رب العالمين في القرآن رضاه عنهم ثم يأتي أقوام ويدّعون أنهم ارتدوا عن

الدين وأنه لم يسلم منهم إلا قلة قليلة !! هذا – والعياذ بالله – ارتكاس في القلوب وانتكاس في العقول ، ولهذا ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لما أشار إلىٰ هذه المقالة قال : " وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَة، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَة "(١٥) يعني لا يقول هذا أحد عنده قلب سليم وعنده عقل مستقيم إلا إذا ارتكس القلب وانتكس العقل ، وإلا شخص عنده قليل من عقل لا يمكن أن يقول هذه المقالة.

والوقيعة في الصحابة والطعن فيهم ليس مختصاً بهم بل هو طعن في دين الله ، الصحابة هم الذين نقلوا لنا دين الله ، الدين كله عرفناه من طريقهم ، فإذا طُعن فيهم يكون الطعن في الناقل طعن في المنقول ، ولهذا قال أبو زرعة الرازي – رحمه الله – : " إذا رأيتم الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي ﷺ فاعلموا أنه زنديق لأن القرآن حق والدين حق وإنما أدىٰ إلينا ذلك الصحابة – هم الذين بلغونا هذا الدين – وهؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا فهم بالجرح أولىٰ فهم زنادقة "(١٦) فالجرح في الصحابة والطعن في الصحابة طعن في الدين ذاته.

ثم تجد هؤلاء يستغرب بعضهم يقولون عن أهل السنة أنهم يروون حديث الحوض وأنه يذاد نفر عن الحوض والنبي ﷺ يقول ((أصحابي أصحابي)) !! نعم نروي حديث الحوض ونعرف من المعني به ، وهو حديث متواتر رواه عن النبي ﷺ أكثر من ستين صحابي وليس فيهم من كان من هؤلاء ؛ أعيان وخيار الصحابة وأفاضل الصحابة وأماثل الصحابة ورووا الحديث ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾، كانوا من أشد الناس خوفاً من التبديل وإنكاراً له ورداً للبدع ، ومن يقرأ تاريخهم المجيد ومآثرهم العظيمة يجد بلاءهم الحسن في نشر السنة وبيان الدين ورد البدع وبراءتهم من أهل البدع

(١٥) تفسير ابن كثير (سورة التوبة : آية ١٠٠) .

(١٦) رواه الخطيب البغدادي في كتاب الكفاية في علم الرواية (بتصرف) .

وأهل الضلال ، وكم من مرة يعلنون البراءة ((أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي))[١٧] يعلنون ذلك في مواقف كثيرة جداً ، وأصول البدع وبداياتها وُجدت في زمانهم ووجد منهم البراءة منها ، كانوا علىٰ الإسلام الخالص وبدأت تظهر البدع وكانوا كلما ظهرت بدعة تبرءوا منها ثم يأتي الموغلون في الابتداع والإحداث والرجوع القهقرىٰ فيرمون الصحابة بما هم حقيقةً واقعون فيه ، وانطبق عليهم قول القائل "رمتني بدائها وانسلّت" . فالشاهد أن هذا الكلام يعني أفراداً قلائل كان في إسلامهم رقة وكانوا حدثاء عهد بإسلام وحصل منهم ارتداد بعد موت النبي ﷺ .

ومن مناقب أبي بكر الصديق ومآثره العظيمة : حرب المرتدين ؛ حاربهم وصمَد في محاربتهم وكان له مواقف عظيمة جداً قال ((وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ))[١٨] ، ويزعم هؤلاء أنه زعيم المرتدين ومقدَّم المرتدين!! ﴿ (قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[المنافقون:٤] ، وأبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ليسو أفضل هذه الأمة فقط ؛ بل هم بشهادة نبينا ﷺ أفضل أمم الأنبياء كما جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : ((أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ))[١٩] فيأتي في الدرجة الأولىٰ بعد الأنبياء أبو بكر وعمر في الأمم كلها ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ، ونحن نرجو الله سبحانه وتعالى ونسأله أن يحشرنا مع أبو بكر ومع عمر ومع عثمان ومع هؤلاء الخيار في زمرة النبي ﷺ وصحابته الكرام الذين نشهد بالله عز وجل أنهم ما بدلوا تبديلا كما قال الله عز وجل ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾.

---

(١٧) رواه أبو داود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(١٨) رواه البخاري (٧٢٨٤) ، ومسلم (٢٠) .

(١٩) رواه الترمذي (٣٦٦٦) .

ثم قال رحمه الله : ((**ولهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ، قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَاني هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ، قَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ ؟قَالَ أَرَأَيْتم لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا بَلَىٰ ، قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**))

انتبه هنا ؛ النبي ﷺ يقول ((**وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**)) والصحابة حوله قالوا : ((**أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟**)) ، قال ((**أَنْتُمْ أَصْحَابِي**)) ؛ أصحابي وإخواني أي الدرجتين أعلىٰ ؟ درجة الصحبة ؛ الصحبة فيها صحبة وأخوّة ، ولهذا قالوا ((أولسنا إخوانك ؟)) هم إخوان النبي ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] فقال ((**أَنْتُمْ أَصْحَابِي**)) ، فهؤلاء لهم درجة الصحبة ونصرة النبي وأخذ الدين منه ورؤيته ﷺ ، وهذه منقبة لا يشاركهم فيها أحد ، كل من جاء بعدهم مهما بلغ في الإيمان والعلم لا يبلغ رتبة الصحابة ، ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام– :((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) ، وقد منّ الله ﷻ عليهم وأكرمهم بما لا يكون لغيرهم وهو رؤيتهم للنبي ﷺ وسماع حديثه وأخذ الدين منه مباشرة ، وكل من جاء بعد الصحابة للصحابة حظ من حسناته لأنهم نقلوا الدين لمن بعدهم ، مر معنا الحديث ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ))[٢٠] ، هذا العلم الذي سمعناه الآن وصل لابن مسعود أجر ، ووصل لأبي هريرة أجر، وكل صحابي ننقل حديثه ويبلغنا حديث النبي ﷺ من طريقه له أجر في ذلك ؛ لأن ((الدَّالُّ عَلَىٰ

(٢٠) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) .

الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ))[٢١] ، ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))

((**قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي**)) وهذا فيه تفضيل الصحابة وتشريفهم ، والأمر واضح .

قال ((**وَإِخْوَاني هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**)) ؛ أريد أن نقف هنا وقفة قبل المواصلة في هذا الحديث لنربط بين هؤلاء الإخوان الذين قال عنهم النبي ﷺ ((لم يأتوا بعد)) والأصحاب الذين هم مع النبي ﷺ جنبًا إلىٰ جنب: اقرأ الرابطة في سورة الحشر ، وصف الله ﷻ الذين يأتون بعد بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠] هذه حلية الإخوان الذين قال عنهم – عليه الصلاة والسلام – هنا ((**وَإِخْوَاني هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**)) ، ما علامتهم ؟ قال رب العالمين في ذكر علامتهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ ؛ فمن كان في قلبه غل علىٰ الصحابة ويلهج بلعنهم والطعن فيهم والوقيعة فيهم هل هو داخل تحت قوله ((**وَإِخْوَاني هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**)) ؟! حاشا وكلا ؛ لأن رب العالمين ذكر علامة لهؤلاء الذين يأتون بعد ، لما ذكر المهاجرين وذكر بعدهم الأنصار ذكر الذين يأتون بعد قال ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ﴾ أي علامتهم وحليتهم وزينتهم وصفتهم ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ ؛ فلهم سمتان : الأولىٰ تتعلق بالقلب : أما القلب فسليم ، قلوب هؤلاء سليمة نقية ليس فيها غل وليس فيها حسد وليس فيها ضغينة وليس فيها امتلاء ضد الصحابة الأخيار ، وتجاه المؤمنين السابقين .

---

(٢١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠) .

الثانية تتعلق باللسان : سلامة اللسان ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .

ليس في ألسنتهم تجاه الصحابة إلا الترحم والاستغفار والدعاء ، وليس في قلوبهم تجاه الصحابة إلا المحبة والصفاء والنقاء ، فالقلوب نقية والألسن نظيفة ، أما من إذا ذُكر عنده أبو بكر وعمر استوحش كأنه ذُكر عنده أشد أعداء الدين ؛ بل بعضهم يستوحش من ذكر أبي بكر وعمر أشد من استيحاشه من ذكر إبليس !! هل هذا يدخل ؟ لا والله هيهات أن يدخل ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؛ وهذه دعوة ينبغي أن يُكثر منها المسلم لأن الله أثنىٰ علىٰ هذه الدعوة وجاء في هذه الدعوة فضائل ، الله قال لنبيه ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد:١٩] ، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة)) فأنت إذا دعوت بهذه الدعوة التي في الآية ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ كم لك من حسنة ؟ إذا أردت أن تعرف الجواب فكم إخوانك الذين سبقوك بالإيمان !! هذا هو الجواب ، فبعددهم لك بكل واحد منهم حسنة ، وهل قولك ﴿ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ يختص بأمة محمد أو يشمل ؟ فلك من زمن آدم إلىٰ ما شاء الله من الحسنات في كلمة واحدة ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ ، انظر الأجور العظيمة التي يكسبها سليم القلب سليم اللسان، وانظر إلىٰ الآثام المتراكمة التي يكتسبها من يقع في الأماثل الأخيار صدر الأمة وخيارها .

وحقيقةً ؛ من يقع في الصحابة بالثلب والسب لا يضر الصحابة شيئًا ؛ بل إن الصحابة يحصِّلون من ذلك أجوراً ، أشارت إلىٰ هذا المعنىٰ أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لما بلغها عن نفر يتكلمون في بعض الصحابة فقالت : ((إن الله لما قطع عنهم العمل – يعني الصحابة – بالموت أحب أن لا ينقطع عنهم الأجر)) ويبين هذا المعنىٰ الذي تشير إليه عائشة – رضي الله عنها – الحديث المعروف بحديث المفلس يقول فيه ﷺ للصحابة : ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ

فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[٢٢] ؛ فهذا المفلس حقيقةً من يأتي يوم القيامة بهذه الصفة ، وأي إفلاس أشد وأفظع من أن يكون السب للخيار !! إذا كان سب آحاد المسلمين يترتب عليه هذا الأمر فكيف بسب سادات المتقين من الصحابة الأخيار الذين أثنىٰ عليهم رب العالمين وزكاهم وعدّلهم وأثنىٰ عليهم رسوله الكريم ﷺ وزكاهم وعدلهم – صلوات الله وسلامه عليه – !! إذاً هذا يبين لنا الرابطة بين الإخوان والأصحاب .

قال ((**قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَانِي هم الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ، قَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟**)) واسمع هذا المثال العجيب من الناصح – عليه الصلاة والسلام – ((**قَالَ أَرَأَيْتم لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**)) ؛ الخيل الغر : التي في نواصيها بياض ، والمحجلة : التي في أطرافها في يديها وقدميها بياض . ففي طرف القدم بياض وفي طرف اليد بياض والناصية بيضاء .

يقول أرأيتم لو أن رجلا عنده خيل غر محجلة ثم دخلت في خيل دُهم بُهم يعني خيل سوداء بُهم ليس فيها شيء من البياض ولا قطعة يسيرة هل يميز خيله أو لا يميزها ؟! واضحة تماماً . وهنا اختار النبي ﷺ هذا المثال لأن له ارتباط ، لأن أهل الإيمان وأهل الصلاة يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء ؛ فيأتون يوم القيامة غراً محجلين الوجه أبيض والأيادي بِيض والأقدام بيض من أثر الوضوء ، فيأتون بهذه العلامة فكيف لا يُعرفون !! وكيف لا يميَّزون والعلامة ظاهرة !! وكان –

(٢٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١) .

عليه الصلاة والسلام – قد قال في حديث صحيح ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ))[٢٣] وهذا فيه محافظة علىٰ الوضوء الكامل للقدم ولليد ؛ حتىٰ إنه رأىٰ في عقب رجل قطعة من البياض ما وصلها الماء وهذا يؤثر علىٰ التحجيل فقال ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ))؛ فإذا كان ﷺ رأىٰ في عقب رجل ولم ينتبه لذلك دائرة صغيرة لم يصلها الماء فقال ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ)) فكيف بمن إذا أراد أن يتوضأ لا يأتي إلا بقليل من الماء ويمسح علىٰ طرف قدمه من أعلىٰ ولا يصل قدمه ؟ ثم يأتي هذا الذي يفعل هذا الأمر ويقول إن الصحابة ارتدوا وأنهم يذادون عن الحوض !! فهذا كله مما يوضح الانتكاس في العقول والارتكاس في القلوب وقلب الحقائق – عياذاً بالله تبارك وتعالىٰ – . وعلىٰ كل حال هذه علامة واضحة ذكرها النبي – عليه الصلاة والسلام – لهؤلاء الإخوان الذين يأتون بعد .

قال ((**قَالُوا بَلَىٰ**)) يعني لما ذكر النبي ﷺ هذا المثال قالوا بلىٰ ؛ يعني يميزهم ، إذا كانت الخيل بهذه الصفة سهل التمييز .

((**قَالَ فَإِنَّهُمْ** – وهذا توضيح للأمر – **يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ**)) ؛ وهذا فيه أهمية المحافظة علىٰ الوضوء ، الوضوء من أجل إقامة الصلاة وصلاة بلا وضوء غير مقبولة ، فالإنسان يحسن وضوءه ويحسن صلاته ويحسن إقباله علىٰ الله ﷻ ليكون من هؤلاء الذين يأتون بهذه العلامة العظيمة ويكرمهم الله ﷻ بالشرب من حوض النبي – عليه الصلاة والسلام – .

هنا : وضوء ، وصلاة ، وحوض ، وغر محجلين ؛ ولعل فيه ارتباط ، جاء في المستدرك للحاكم بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ((لقد تركت بعدي عجائز ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ)) وفيه ارتباط ؛ أنت الآن لما تصلي وتُقبل علىٰ وضوءك وتستحضر هذه المعاني تشتاق ، والوضوء هذه علامة لأهل الإيمان ، فيجتهد الإنسان في

(٢٣) أخرجه البخاري (١٦٥) ، ومسلم (٢٤٠) .

تكميل وضوءه وتتميم صلاته ونفسه مقبِلة ، فلعل هؤلاء النسوة من الصحابيات ومِن غيرهم ممن تركهن أنس في المدينة علىٰ هذه الحال لا يصلّين صلاة إلا سألن الله ﷻ أن يوردهن حوض النبي ﷺ لأنها معاني مترابطة ، الصلاة نفسها صلة بين العبد وبين الله ويؤديها لينال كرامته عند الله ﷻ ، ولهذا كان – عليه الصلاة والسلام – في صلاته كما في حديث عمار بن ياسر يقول : ((وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))[٢٤] فالصلاة بطهارتها ووضوءها وحسن إقامتها تجلب للإنسان خيرات وبركات في الدنيا والآخرة ، وفيه ارتباط بين الصلاة وبين الثمرات التي تنال يوم القيامة .

قال ((**وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ**)) : أي أنا السابق إليه والمتقدم إليه .

((**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**)) هنا لاحظ ؛ ((**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ**)) يؤخذ من هذا الحديث أن الذود الذي يحصل ليس مختصاً بأولئك القلة الذين صحبوا النبي – عليه الصلاة والسلام – ثم حصل منهم ارتداد ؛ بل من وقع منه هذه المعاني فله هذا الوعيد وله هذا الحكم . هناك قال ((أصحابي)) ، وهنا قال ((ليذادن رجال)) وقال ذلك بعد ذكره للإخوان الذين يأتون بعد الصحابة ، فقال ((**لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ**)) فهذا نستفيد منه وكذلك من الحديث الآتي بعده أن الأمر الذي هو الذود عن الحوض ليس مختصا بأولئك القلة من الصحابة الذين حصل لهم ارتداد بعد موت النبي ﷺ بل يتناول أيضا أناس فيما بعد يحصل منهم مثل هذا الأمر ويحصل لهم التخلي عن الدين والانصراف عنه إلىٰ حيث الشرك والضلال وعدم الاستسلام لله ﷻ وإخلاص الدين له، ينصرفون إلىٰ هذه الأمور فينطبق عليهم قوله ((**فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ**)) .

(٢٤) أخرجه النسائي (١٣٠٦) .

فيقول ((**سُحْقًا سُحْقا**)) الذي يقول هذه المقالة هو الذي وصفه الله بقوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨] ؛ فيقول ((**سُحْقًا سُحْقا**)) وهذا يدل علىٰ الحرمان العظيم الذي يتبوأه من أحدث وبدّل في دين الله ﷻ .

ثم أورد – رحمه الله – بعد ذلك حديث النبي ﷺ في صحيح البخاري ، قال –عليه الصلاة والسلام – : ((**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ ، فَقُلْتُ أَيْنَ ؟ قَالَ إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ ، قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَىٰ ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ – فذكر مثله – قال فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**)) .

الحديث جاء في صحيح البخاري في كثير من النسخ ((بينما أنا نائم)) وجاء في رواية الكشميهني لصحيح البخاري ((بينما أنا قائم)) ، يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أن هذه الرواية ((بينما أنا قائم)) – بالقاف وليس بالنون – أوجه ؛ لأنها تشير إلىٰ أن النبي ﷺ بينما هو قائم أي علىٰ الحوض . وتوجيه رواية ((بينما أنا نائم)) أي أنه ﷺ أرِي في منامه ما سيكون يوم القيامة علىٰ الحوض ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – اختار هنا رواية الكشميهني ((بينا أنا قائم)) لأنها الرواية التي قال عنها الحافظ ابن حجر أوجه من رواية ((بينما أنا نائم)) ، ومعنىٰ ((بينما أنا قائم)) : أي قائم علىٰ حوضي .

قال ((**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ**)) ؛ ومعرفته لهم تكون بالعلامة التي مرت معنا قريبا غرٌّ محجلين من أثر الوضوء .

حتىٰ إذا عرفهم بهذه العلامة ((**خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ**)) ؛ من بين النبي ﷺ وبين هؤلاء الذين هم مقبِلون عليه وعلىٰ حوضه ، وقد ذكر أهل العلم أن هذا ملَك يكِل الله ﷻ إليه هذا الأمر ، فبينا

هم علىٰ هذه الحال مقبلون عليه وهو يرتقب وصولهم إليه – عليه الصلاة والسلام – إذ جاء رجل في الوسط بين النبي ﷺ وبين هؤلاء ؛ ماذا يصنع هذا الرجل ؟

((**فَقَالَ** – يعني هذا الرجل– **هَلُمَّ**)) ؛ اقتربوا الآن من الحوض ما بقي إلا قليل ويصلوا إليه ليشربوا منه شربة من يد النبي ﷺ لا يظمأ بعدها الشارب أبداً ويخرج هذا الرجل بينهم وبين النبي ﷺ فيقول لهم هلم يعني تعالوا.

((**فَقُلْتُ : أَيْنَ ؟**)) النبي ﷺ يقول للرجل أين ؟ يعني أين تذهب بهم ؟

((**قَالَ : إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ**)) ويحلف بالله .

((**قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهُمْ ؟**)) ؛ يعني لماذا إلىٰ النار والله ؟ لماذا تأخذهم إلىٰ النار ؟ وقد عرفهم – عليه الصلاة والسلام – ورأىٰ فيهم العلامة فيقول إلىٰ النار والله !! فيقول ﷺ وما شأنهم ؟

((**قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَىٰ**)) يعني إلىٰ الوراء رجعوا .

((**ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ – فذكر مثله –**)) يعني زمرة ثانية ؛ ((ثم إذا زمرة حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين ؟ قال إلىٰ النار والله قلت وما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ)) .

((**قال فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**)) ؛ لا يخلص : أي لا ينجو منهم إلا مثل همل النعم .

وهاتان الزمرتان الذين قال ﷺ ((**فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**)) يعني إلا قلة .

همل النعم : يعني النعم الضالة ، الهمل التي ليس لها راعي ، الضائعة ، فلما تقارن همل النعم بالنَّعم نفسها تجد عدد قليل ، قال ((فلا ينجو منهم إلا مثل همل النعم)) .

أحد المعاصرين في قلبه غل علىٰ الصحابة وتكلم كلام قبيح جداً في حق الصحابة ، ولما جاء هذا الحديث بدّله ليروي غله علىٰ الصحابة فغيّره وقال : " روىٰ البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال

لا يخلص منكم إلا مثل همل النعم " ، وقال : هذه شهادة من النبي ﷺ أنه لا يخلص ، فغيّر لفظ الحديث ثم فسره علىٰ ما يروي غليله الدفين بالحقد علىٰ أصحاب النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – فجمع بين حشف وسوء كيلة والعياذ بالله، وهذا بسبب الحقد الذي تظلم به القلوب علىٰ أصحاب النبي ﷺ ، وأنت ترىٰ الحديث أمامك قال ((لا ينجو منهم)) الضمير يعود علىٰ الزمرتين ، وهاتان الزمرتان هل هما فقط هم من يرد الحوض ؟ لا ؛ يرد عوالم علىٰ الحوض ، وذكَر هاتين الزمرتين وذكَر هذا الوصف لهم وقال في الحديث ((إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم)) فالحديث واضح المعنىٰ ولكنه حرَّف لفظه ليطوِّعه في الدلالة علىٰ ما في قلبه من حقد دفين ضد أصحاب النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – .

ولو كان المعنىٰ الذي يقوله صاحب هذا الحقد وأمثاله مراداً هل يقول النبي ﷺ مخاطباً الصحابة ((ليذادن أقوام)) ؟! – وهذا معنىٰ ألمح إليه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث وغيره من أهل العلم – لو كان المعنىٰ الذي يعنيه هذا وأمثاله مراداً كان الخطاب " لتذادُن عن الحوض " ، لا يقول ((ليذادن أقوام)) ، ((ليذادن رجال)) ويقول أيضاً "لا ينجو منكم إلا مثل همل النعم " مثل ما حرّف هذا المحرف.

وعلىٰ كل حال من قرأ هذه الأحاديث وتدبرها تحرِّك في قلبه إيماناً وتفتح له تذكرة وتبصرة وعظة ويبدأ يحاسب نفسه ؛ لأنه لا يرضىٰ إنسان لنفسه هذا الأمر أن يُذاد هذا الذود وأن يُطرد هذا الطرد. لاحظ هذه المعاني : ذود عن الحوض ، ملَك يأخذه إلىٰ النار بعد أن أقبل علىٰ الحوض ، والنبي ﷺ يسأل ما شأن هؤلاء ؟ وفي الحديث الآخر يقول ((سحقا سحقا)) .. من الذي يرضىٰ لنفسه أن يكون مع هؤلاء !!

فالمصنف – رحمه الله – أراد هنا أن يبين أن قراءة أحاديث الحوض والتفهم فيها والتعقل لها والتدبر في معانيها يحرك في قلب الإنسان يقظة في فهم الإسلام وحقيقة الإسلام ، والثبات علىٰ

الإسلام ، والبعد عن الارتداد والنكوص علىٰ العقبين ، والبعد أيضا عن الإحداث في دين الله ﷻ ، فإن المحدِث في دين الله علىٰ خطر عظيم، لأن في عدد من روايات الحديث قال ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) فهذا يدل علىٰ خطورة الحدث في دين الله ﷻ وأنه يجني علىٰ الإنسان جنايات بالغة منها هذا الذي يتعلق بالحوض ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) .

أحد التابعين كان إذا روىٰ هذا الحديث وذكر تمامه – قول النبي عليه الصلاة والسلام ((إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ)) – كان يقول : " اللهم إنا نعوذ بك أن نرتد علىٰ أدبارنا أو أن نفتن في ديننا " ، لأن الإنسان إذا فُتن في دينه بالبدعة ربما أوصلته بدعته إلىٰ الكفر ، وقد مر معنا أن البدعة بريد الكفر – والعياذ بالله – . فوجب علىٰ الإنسان أن يتقي الله ﷻ وأن يجاهد نفسه مجاهدة تامة علىٰ البعد عن البدع ومحدثات الأمور وعن البعد عن الأمور التي تصرف الإنسان وتصده عن دينه ، وأن يجاهد نفسه علىٰ معرفة الدين والمحافظة عليه والعمل به وسؤال الله – تبارك وتعالىٰ – الثبات علىٰ الدين إلىٰ الممات ، وقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ كما صح بذلك الحديث ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ))[٢٥] ، وفي بعضها ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ))[٢٦] ، وكان أيضا من دعائه كما في صحيح مسلم[٢٧] ((اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)) .

---

(٢٥) أخرجه الترمذي (٢١٤٠) .

(٢٦) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) .

(٢٧) برقم (٢٧٢٠) .

قال : ((**ولهما من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – : ((فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :**

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾))؛ أي أنه ﷺ يقول هذا الكلام كما يقول ذلك العبد الصالح عيسىٰ عليه السلام ، لما يرىٰ هذه الحال ويرىٰ هذا الوصف وهو – عليه الصلاة والسلام – الناصح المشفق ، لكن لما يرىٰ ردة وتبديل ونحو ذلك يقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يمن علينا أجمعين بورود حوض النبي الكريم ﷺ ، وأن نشرب منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا ، ونعوذ به تبارك وتعالىٰ من البدع والأهواء والضلالات ، ونعوذ به أن نُفتن في ديننا أو أن نرتد علىٰ أعقابنا ، ونسأله سبحانه وتعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يهدينا إليه صراطا مستقيما ، ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلنا من أحباب نبيه ﷺ حقا وصدقا ومن أنصاره وأعوانه عليه الصلاة والسلام ، وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرته وتحت لوائه وأن يكرمنا بالدخول معه في جنات النعيم إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل . والله تعالىٰ أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد .